

## لحظة أم حقبة؟

### الكاتب



حسن مدن

لا يُعرف عن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أنه يكن وداً خاصاً تجاه لينين، تجاه مؤسس الدولة السوفيتية، بل إنه في الخطاب الذي أعلن فيه عن بدء العملية العسكرية في أوكرانيا قبل أكثر من عام حمل لينين وستالين وغيرهما من قادة البلاشفة مسؤولية تخليهما عن أجزاء كبيرة من أراضي روسيا لصالح أوكرانيا، هي نفسها التي يتشكل منها اليوم إقليم الدونباس ذو الأغلبية الروسية من السكان، والأكثر ارتباطاً باللغة والثقافة الروسيين، في إطار خطة التكامل بين جمهوريات الدولة السوفيتية يومها، مشككاً، أي بوتين، في وجود أساس تاريخي للدولة الأوكرانية نفسها.

رغم ذلك عاد بوتين، وهو يحدث ضيفه الرئيس الصيني، شي جين بينغ، إلى قول شهير للينين مفاده أن هناك عقوداً كاملة متتالية تمرّ في التاريخ كأنها لحظة، نظراً لثبات الأوضاع فيها، لكن هناك لحظة واحدة تعادل تلك العقود الممتدة، تشهد تطورات دراماتيكية تقلب الدنيا عاليها سافلها، كأنه يذكرنا بقول ابن خلدون: «إذا تبدلت الأحوال جملة، فكأنما تبدل الخلق من أصله، وتحول العالم بأسره وكأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعلم محدث».

ولعلنا نجد في قول الضيف الصيني بينغ لمضيفه بوتين وهما يقفان أمام بوابة قصر الكرملين لحظة استعداد جين بينغ لمغادرة موسكو عائداً إلى بلاده بعد زيارة وصفت بالتاريخية، فبالكثير من الدفء والثقة قال لبوتين: «نحن الآن في لحظة لم يشهد العالم مثيلاً لها منذ مئة عام»، وردّ بوتين بأنه موافق تماماً. إنها عبارة تُذكر، بالفعل، وبإيجاز وتركيز، بقول لينين في مطالع القرن العشرين الذي به استشهد بوتين، ويقول ابن خلدون الذي ذكرناه، قبل ذلك بقرون. قصد الرجلان أن العالم يتغير. وأنا بصدد لحظة تاريخية جديدة أراها أن تكون لحظة صينية - روسية. ومع ذلك فإن مفردة «اللحظة» مواربة وحمالة أوجه. فالحظة قد تكون سريعة التبدد، حين نقول لأحدهم: انتظرني لحظة، فإننا لا نعني سوى بضع ثوان وإن زادت فدقائق، وليس هذا ما عناه كل من بوتين وبينغ، فهما لا يشيران إلى مجرد لحظة أو برهة. إنهما يتحدثان عن حقبة تاريخية جديدة سيكون فيها العالم غير ما كان عليه خلال القرن الماضي، وأولى عقود القرن الجديد.

قضية بهذه الدقة والخطورة، مهمة معقدة وشائكة، ودونها نزاعات وحروب وأسلحة دمار، ومع ذلك فإن كل من له  
بصيرة يرى أن عالماً جديداً يتشكل أمام الأعين  
[madanbahrain@gmail.com](mailto:madanbahrain@gmail.com)

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024.